

العلوم الطبيعية في القرآن

الشيخ طه الويلبي «بيروت»

الاسترسال ، من شأنه ان يقودنا الى الخروج عن جادة الموضوع الرئيسي الذي نريد ان نأخذ به نفسنا الآن ، وهو الموضوع الذي أردنا قصره على ما جاء في الكتاب الذي تصد به مؤلفه الاستاذ يوسف مروه اثبات العلاقة الحتمية الوثيقة بين التفسير العلمي الحديث للظواهر الكونية المادية البحتة ، وبين المعاني الالهية الخالدة التي تتعلقت بها ، بين حين وحين بعض آيات القرآن الكريم في اثناء دعوتهما الناس من كافة الاجناس الى الايمان بوجود الله الخالق الديان .

على انه ، لا بد لنا من التقديم بين يدي موضوعنا ، ان كتاب الاستاذ مروه الذي تدور فصوله وابوابه ، حول رغبة المؤلف بربط اغراض القرآن الكريم مع ما توصل اليه العلماء المعاصرون من آراء وافكار ونظريات في الجغرافية والفيزياء والفلك وما الى ذلك من العلوم الانسانية الوضعية والمادية ، نقول ، انه لا بد لنا من التقديم بان هذا الكتاب ليس جديدا في بابيه او مادته ، فلقد سبق ان نحا هذا النحو الجدلي ، في دراسة القرآن الكريم وتفسيره ، غير الاستاذ مروه من الكتاب المسلمين الذين ارادوا ان يلتقطوا قفاز التحدي ويرموا به في وجه المستكشفات والاكتراعات العلمية ، من طريق اقامة الدليل العقلي بان القرآن الكريم كان اسبق من كل ما عدها من كتب البشر الى التحدث عن هذه المستكشفات والاكتراعات في العديد من آياته وسوره التي نزل بها الروح الامين بالوحي السماوي ، على قلب الرسول الاعظم سيدنا وسيد الخلق اجمعين محمد صلى الله عليه وسلم .

بين ايدي الناس الان كتاب جديد عنوانه «العلوم الطبيعية في القرآن» من تأليف العالم الفيزيائي الكبير الاستاذ يوسف مروه من افاضل جبال عاملة في جنوبي الجمهورية اللبنانية ، وقد تفضل المؤلف الكريم فاهداني هذا الكتاب . وانه ليهمني التاكيد بانني لدى مطالعته ، وجدتهني امام محاولة جريئة لدواسة القرآن الكريم بأسلوب الرجل المسلم المؤمن الذي اراد ان يتصدى للحملة التي اثارها وخاض غمارها بعض اساتذة الجامعة الامريكية ببيروت تحت شعار التنافس المزعوم بين المعطيات العلمية ، الحديثة ، وبين مسلمات العقيدة الدينية ، القديمة . وليس من شك بان هذه الحملة التي اضطرت بضجيجها اروقة الجامعة المذكورة ورددت صداها بالنقد والتعليق اقلام الكتاب في عدد من الصحف ببيروت وخارجها ، ليس من شك في ان هذه الحملة ليست وليدة العصر الذي نعيش فيه اليوم ، بل انها مألوفة من قبل ، وهي ما زالت تتردد وتتجدد من قديم الزمان حتى اليوم لاسباب متفاوتة من حيث منطلقاتها وغاياتها ما بين الفلق الفكري المجرد وبين النزوات الشخصية المشبوهة .

وليس لنا الان ، ان نرسل القلم على غاربه في جولة استعراض تفصيلي للمراحل التاريخية التي مر بها مبدأ الايمان بالله الذي ارسى قواعده الاديان السماوية مع تلك الطائفة من الكتاب الذين تجلببوا برداه الافكار الفلسفية او قطروا اسماءهم بغافلة من الالجاب العلمية الجذابة ، لاننا نرى ان مثل هذا

ففي أواسط العقد الثالث من النصف الأول للقرن العشرين الذي نحن فيه ، كثر الحديث عن أحد المؤلفين المصريين الذي حاول تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً يتجاوب فيه مع روح العصر الذي تطورت فيه الأفكار الإنسانية وراح يطلق قلمه وراء ما يسبح عبر الفضاء الرحب من الكواكب والاقمار والشموس ، أو يفوس بهذا القلم ، الى داخل أحشاء الأرض باحثاً في هذه الأحشاء عما يتقلب فيها من عوالم الجماد والحيوان والنبات ليبرهن للناس أن الغلاف الخارجي للكون والاعماق الداخلية فيه ، أحاط به كتاب الله في كلامه الأزلي بالتفصيل والبيان والايضاح ، وهذا المؤلف هو الشيخ طنطاوي جوهرى ، الذي كان استاذاً في دار العلوم المصرية والمتوفى سنة 1358 هـ (1940 م) فقد صنف هذا الشيخ كتاباً تحت عنوان : « الجواهر في تفسير القرآن الكريم » وطوى صفحاته التي تجاوزت المئات عدداً ، على تفسير القرآن الكريم « تفسيراً ينطوي على كل ما وصل اليه البشر من علوم » على حد قوله .

فقد أخذت فكرة تفسير الظواهر الكونية من خلال تفسير القرآن الكريم ، بلب الشيخ طنطاوي جوهرى وملكت عليه أحاسيسه ومشاعره حتى اعتقد بأن العناية الإلهية اختارته من بين سائر الناس للقيام بكبرى هذا العمل فأطلق قلمه صبر كتابه ببناء وجهه الى المسلمين قاطبة قال فيه :

« يا أمة الإسلام ، آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرما من علم الرياضيات ، فما يالكم أيها الناس بسبعمائة آية ، فيها عجائب الدنيا كلها .. هذا زمان العلوم ، وهذا زمان ظهور الإسلام .. هذا زمان رقيه . باليت شعري ، لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ، ما فعله آباؤنا في آيات الميراث ولكني ، أقول ، الحمد لله ، الحمد لله ، أنك تقرأ في هذا التفسير (ويقصد كتابه) خلاصات من العلوم ودراساتها أفضل من دراسة علم الفرائض ، لأنه فرض كفاية ، أما هذه ، فإنها للازدياد في معرفة الله وهي فرض على كل قادر .. أن هذه العلوم التي ادخلناها في تفسير القرآن ، هي التي أففلها الجهلاء المعزرون من صفاء الفقهاء في الإسلام .. فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق .. والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ثم ان هذا الشيخ يتابع نداءه مسترسلاً في حماسته واندفاعه ويقول :

« ان نظام التعليم الاسلامي ، لا بد من ارتفاعه ، فنلوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن بل هي علوم لفظه ، وما تكتسبها اليوم ، علوم معناه ، وانطباقها على العلوم التي اظهرها الله في الأرض وبعد هذا الزمان سيظهر فيه آثار قوله تعالى « ثم ان علينا بيانه » فان البيان المذكور ، في سورة القيامة ، فسر بمعنى اننا نبينه باسنانك فتقرأ كما قرأه جبريل ، وبمعنى انه اذا اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك ، وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والعجائب ، ولا جرم ان ما يتحدد اليوم من العلوم مما ذكر في هذا التفسير ، وما لم يذكره ، من البيان الذي أكد الله انه يظهره لامة الإسلام»

وهكذا ، يمضي الشيخ طنطاوي ، من خلال حماسته بما اقتنع به ، في تحميل كل آية من كل سورة في القرآن الكريم من التأويل والتحليل والعليل ، ما لم ينزل به من عنده الله برهان ولا شاهد ولا دليل .

واذا كان المتقدمون من العلماء قد انفقوا حياتهم في استنباط المعاني التي تؤدي اليها آيات القرآن الكريم لتحديد العقيدة الاسلامية في توحيد الله عز وجل وبيان اغراض الشريعة في ضبط علاقة الناس بخالقهم من جهة وبانفسهم من جهة ثانية ، فان الشيخ طنطاوي جوهرى قد انفق حياته في تتبع هذه الآيات وتخريج معانيها وفق ما توهمه فيها من اشارات الى الدراسات التي يقوم بها رواد العلوم النظرية والمادية وراء مكاتبهم وتحت أضواء مختبراتهم ومعاملهم ثم هو لا يكتفي بمرض آرائه وتقريرها بصورة متحدية جازمة ، بل انه يتوجه باللائمة على اولئك العلماء السابقين بقوله :

« لماذا الف علماء الإسلام عشرات الالوف من الكتب الاسلامية في علم الفقه .. وعلم الفقه ليس له في القرآن الا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية ؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه ، وقل جدا في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة ؟ بل هي تبلغ سبعمائة وخمسين آية صريحة ، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة ، فهل يجوز في عقل او شرع ان يبرع المسلمون في علم آياته القليلة ، ويجهلوا علما ، آياته وهي كثيرة جدا ، ان آباءنا برعوا في الفقه ، فلنبرع نحن الآن في علم الكائنات ، لنتم به لترقي الاممة » .

واذا نحن أتينا على قراءة كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » نجده يحشد في هذا الكتاب الفريد من نوعه كثيرا من صور النباتات والحيوانات ومناظر

علم الفضاء	11 آية
علم الحيوان	12 آية
علم الزراعة	21 آية
علم الاحياء	32 آية
الجغرافية العامة	73 آية
علم السلالات البشرية	10 آيات
علم طبقات الارض	20 آية
علم الكون وتاريخ الاحداث الكونية	36 آية
وصف العلم والعلماء والحث على طلب العلم	
64 آية	

وجريا على العادة التي يتبناها كثير من الكتاب المسلمين بالاستشهاد على صدق الدعوة الاسلامية وصحة ما جاء في القرآن الكريم من قوانين تشريعية ومفاهيم اجتماعية واخلاقية ، فانا نجد الاستاذ يوسف مروه يستهل كتابه تحت عنوانه : « آراء وافكار حول القرآن » بطائفة غير قليلة من الاقوال التي وردت في كتب غير المسلمين من علماء اوربا وفلاسفتها ونختار من هذه الاقوال قول رينورت :

« يجب ان نعترف بان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انعشت اوربا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن » .

« وقول ريتونورت » :

« يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة مقتبسة من القرآن . فجميع العلماء مدينون له ولعل الاستاذ مروه والذين سبقوه او يحاكونه في الاستنجاد باقوال الغربيين لدعم الايمان بالاسلام والقرآن ، لعله وهؤلاء انما يريدون العمل بالقول المأثور . والفضل ما شهدت به الاعداء . ولسنا ندرى اذا كانت شهادة الاعداء تصلح دالما لان تكون دليلا يمكننا الاحتجاج به فيما ندلي من آراء واجتهادات وتفسيرات وتاويلات بصدق القرآن الكريم بالذات لا سيما اذا كانت هذه الشهادة تريد ان تصنف كلام الله في مداد التقارير العلمية التي كثيرا ما يناقض بعضها بعضا بين حين وآخر بسبب ما يلابس البحوث العلمية عادة من تطورات مع تقدم الافكار البشرية التي تخضع لظروف الحضارة المليئة بالمفاجآت غير المنتظرة .

لطبيعة وتجارب العلوم لكي يؤكد لقائله ان ما يقوله في تفسيره من طرائف وغرائب هو الحقيقة بعينها بناء على ما يقدمه من تلك الصور والمشاهد الحسية .

وعندما تعوزه الصور والمشاهد الحسية فانه يستنجد بما جاء من افلاطون في فلسفته او بما رده اخوان الصفا في رسائلهم فاذا لم يجد عند افلاطون او اخوان الصفا ما يرتكز عليه في آرائه فانه لا يتورع عن الاعتماد على الارقام العددية التي ينظمها حساب الجمل المعروف .

ومن الغريب حقا ، ان نجد الاستاذ يوسف مروه يعالج موضوعه في كتابه « العلوم الطبيعية في القرآن » بنفس الاسلوب الذي اعتمده الشيخ طنطاوي جوهرى في كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » حتى يتكاد يخيل لنا ان كلا الرجلين نهلا من معين واحد وهما يدركان القرآن الكريم ويفسران آياته . فالاستاذ يوسف مروه يؤكد في كتابه المذكور ان « ميزة القرآن الكبرى انه يورد صورة بسيطة واضحة وسهلة للكون والطبيعة تنسجم تماما مع صورة الطبيعة البسيطة التي كشفت عنها الفيزياء الحديثة . »

ومثما فعل الشيخ طنطاوي جوهرى حين احصى في القرآن الكريم حوالي سبعمائة وخمسين آية من الآيات التي تحتوي على مبادئ العلوم الكونية فان الاستاذ يوسف مروه قام بدوره باحصاء هذا النوع من الآيات فقال :

« واذا عبرنا بطريقة كمية عن هذه المواضيع العلمية القرآنية ومقدار ورودها ووجودها في القرآن لتبين لنا اكثر من عشر الآيات القرآنية تتعلق بمواضيع العلوم الطبيعية وعلى وجه التدقيق 670 آية تبحث في شتى المواضيع العلمية موزعة كما يلي :

الرياضيات	61 آية
الفيزياء	64 آية
الذرة	5 آيات
الكيمياء	9 آيات
النسبية	62 آية
الفلك	100 آية
المناخيات	20 آية
الماليات	14 آية
الرياضيات	57 آية

وعندما وصل الاستاذ مروه الى آخر هذا
الفصل اعلن قائلا :

« وانني في محاولتي هذه سأقتصر على اهم
واخطر مواضع العلم الحديث وهي الذرة والفضاء
والنسبية في الباطني لنفي التنافس بين العلم والدين» .

ولم ينس الاستاذ مروه ، وهو في ذرة حماسه
لابتبات الانسجام التام بين العلوم الطبيعية وبين
معاني الايات القرآنية، لم ينس ان يشير الى آخرين من
العلماء المسلمين الذين عالجوا بدقة وتفصيل مدى
انطباق وتوافق هذه الايات او بعضها مع مواضيع العلم
الحديث وذكر منهم الاساتذة احمد امين واحمد
محمود سليمان والشيخ طنطاوي جوهرى (السدي
تناولناه في حديثنا هذا من قبل) وكذلك الدكتور
احمد زكي في كتابه « مع الله في السماء »

واذا كان الاستاذ مروه قد اختار لمواجهة
التحديات المصرية الحديثة للاسلام بالكشف عن
المعطيات العلمية التي فصلت بها آيات القرآن الكريم
فان الاسلوب الذي التزمه في كتابه للتعبير عن هذه
المواجهة قد تجاوز من غير شك الاغراض التي ارادها
الله في هذه الايات حتى انتهى به الامر اخيرا الى انتزاع
القرآن الكريم من حدود مقاصده التشريعية والتوجيهية
وحشره حشرا غير طبيعي الى جانب الكتب الوضعية
التي طوى اصحابها صفحاتها على مبادئ نظرية تخضع
في طبيعتها لقوانين العقل البشري هذا العقل الذي
هو مستعد دائما وابدا ، لان يرفض اليوم ما قبله
بالامس ، وان ينفي في الغد ما اثبتته اليوم وهكذا تبعا
لما يعرض له من ظواهر الاشياء التي يعالجها وهو في
طريقه الى الحقيقة العلمية المطلقة التي يبشر بها
الانسان في مسيرته الحضارية غير المحدودة في هذه
الحياة .

وان من يعنى قراءة المقدمة التي استهل بها
الاستاذ يوسف مروه كتابه لا بد انه يلاحظ بان الكاتب
الفاضل ، كان شديد الحرص على تأكيد دور القرآن
الكريم في حث المسلمين على اعتماد العقل والتفكير
واحصى 64 آية من آياته تحت عنوان « وصف العلم
والعلماء والحث على طلب العلم » ولم يكتف بذلك بل
انه اختار من آثار الرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني ما
كتبه من نحو اكثر من ثلث قرن حول الدين والعلم
وجعله في مطلع كتابه وقال : « اهجبت بدقة وعمق
بعثه ورايت من الواجب ان انقل للقارئ بعض ما كتبه

على اننا نرى بانه لا يجوز لنا حمل آراء الاستاذ
مروه وامثاله من الكتاب والعلماء المسلمين على محمل
التنطع في جر آيات القرآن الكريم الى ساحة الابحاث
العلمية البحت بدافع من الفضول والرغبة في التجديد
بما لا طائل منه لصالح القراءان واهدافه الدينية
والدنيوية . بل نحن نرى ان ما يذهب اليه الاستاذ مروه
واحزابه في هذا الصدد ، انما هو في الواقع ، رد
فعل عفوي لمواجهة التحديات العنيفة التي تفرضها
الافكار المبهورة بما بلغته الحضارة الانسانية من تقدم
وتطور وازدهار في هذا العصر . كما انه يعتبر بمثابة
جواب غير مباشر على الشكوك التي تراود بعض
الافهام السقيمة التي اقلت على كاهل الدين الاسلامي
وزر ما يعانيه المسلمون اليوم من مظاهر التقصير عن
ادراك شأو الحضارة الغربية في مستواها العلمي
الرفيع .

وها هو الاستاذ يوسف مروه يعلن في اوائل
الفصل الثامن من كتابه الذي نحن بصدده :

« ان الغاية الرئيسية من هذه الفصول المتواضعة
هي :

اولا : ان نثبت للمؤمنين والمتعصبين ضد طلب
العلوم الحديثة ، ان القرآن قد دعا وشدد في طلب
جميع العلوم (الدينية والطبيعية) بلا استثناء ، ولذلك
فاننا ندعو رجال الدين للاطلاع بانفسهم على معطيات
العلم الحديث لان عدم المامهم بهذه المعطيات قد
شجع على انتشار الكفر والالحاد بين افراد شباب
المسلمين المثقف ، ذلك ان بعض رجال الدين الذين
يجهلون كل شيء عن العلم الحديث ، قد فشلوا فشلا
ذريعا في توجيه الشباب المسلم الى التمسك بتعاليم
الدين الحنيف .

ثانيا : ان نثبت للمثقفين المسلمين وغير
المسلمين الذين يحاربون الدين باسم العلم ، ان هذا
الدين قائم على العلم وان آيات القرآن وتعاليمه
تتسجم انسجاما كليا مع معطيات العلم الحديث
في ادق واخطر مباحثه وتجاربه واكتشافاته من ذرة
وفضاء ونسبية وغير ذلك من المواضيع العلمية الخطيرة
ولنتؤكد ان العلم الذي دعا القرآن الى طلبه ، والذي
اقبل عليه المسلمون ، لم يكن العلوم الدينية والشريعة
فحسب ، بل دعا الى طلب العلوم الطبيعية ايضا وان
تراث الاسلام في حقل العلوم الطبيعية لهو اكبر دليل
على ما نقول :

هذا المفقيه العالم كتقديم للموضوع الخطير السدي اعاليه .

وانا لا ندري ، لماذا يصر الاستاذ مروه على اقتناع قارئه بان الاسلام يدعو الى التعلم ويطلب الى الناس احترام العلماء ، مع العلم بان احدا منهم لم يزعم يوما بان هذا الدين يدعو الى الجهل او يطلب الى اتباعه تقدير الاميين . حتى خصوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم واعداء رسالته السماوية ، فانهم لم يعلوا في شنائهم للنبي ورسالته الى حد اتهامها بانها ضد العلم واهله . ولو ان المؤلف حصر جهوده في اقتناع قارئه بموضوعه الاساسي ، وهو توافق الآيات الكريمة مع ما حققه الانسان المعاصر في حقل العلوم الطبيعية ، لو انه حصر جهوده في هذا الموضوع فقط لكان وفر على نفسه وعلى قارئه كثيرا من الوقت والجهد .

ثم ان الاستاذ مروه كما يقول الشيخ موسى الصدر ، ساير ذلك الذي قال في كلمته ان علماء الدين يحامون مسؤولية عدم تفسير النصوص القرآنية والسنة المطهرة . على ضوء العلوم الحديثة . واني من رأى الشيخ المذكور بان الاطلاع على ظروف علماء الدين الاسلامي يكشف انهم بدلو اصعاف امكاناتهم في سبيل هذه الغاية الشريفة وقدموا عشرات الكتب بهذا الصدد ، حتى ان بعضهم القوا كتباً في خواص العلم التجريبية زائداً على تاليف كتب تحاول عرض النصوص والاحكام الدينية بصورة علمية دقيقة في حقل الفلسفة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والحقوق وغيرها .

ونحن نزيد على ما قاله الشيخ الصدر بهذا الصدد بأنه لا يوجد كتاب في طول الأرض وعرضها من بداية التاريخ حتى اليوم ، خدمه أهله من العلماء مثلما خدم علماء المسلمين كتاب الله وان رفوف المكتبات تكاد تنوء بأعمالها من آلاف الكتب التي تتناول القرآن بالدرس والتحقيق والشرح والتفسير وبيان دوره الجبار في توجيه البشر بمختلف اجناسهم والوانهم الى الحقائق الازلية التي تضمنتها آياته البينات .

ولعلنا نستطيع ان نلفت نظر الاستاذ المؤلف الى الكتاب الذي ألفه سماحة الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس ولبنان الشمالي تحت عنوان « قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » لان هذا الكتاب الذي صدر مؤخراً وأعيدت طباعته مراراً ، من شأنه على ما نعتقد ان يقنع الاستاذ مروه بان أهل العلم الصحيح من شيوخ المسلمين لم يبخلوا في أداء واجبههم نحو

القرودان الكريم في العاقرن كما ان السلف الصالح من امثالهم وزملائهم ، لم يبخلوا كذلك في الماضي في القيام بهذا الواجب . على ان الفرق بين الاستاذ مروه وبين هؤلاء وأولئك انهم فهموا القرآن الكريم على حقيقته وعلى طبيعته في التشريع التنظيمي والتوجيه الاخلاقي بينما اراد استاذنا الفاضل ان نفهم هذا الدستور الالهي عبر الانفعالات النفسية التي اثارها موجة التحديتات المصرية الوافدة علينا من آفاق العالم الغربي .

وهنا ، اجدني اعود مرة اخرى الى تأييد وجهة نظر الشيخ موسى الصدر الذي يقول :

« ان القرآن الكريم كتاب دين وهداية ، وليس من مهمته الابحاث العلمية وذكر القوانين التجريبية ، او وضع أسس للانتاج الثقافي البشري ، فالقرآن الكريم يحاول ان يصنع الانسان الكامل الذي هو مبدا العلوم وغايتها ، ويتقن هذه المحاولة باحكامه الفردية والاجتماعية وتعاليمه المقدسة .

ويقول الشيخ الصدر كذلك :

« واعود لاؤكد ان تناول القرآن لهذه المباحث (اي العلوم الكونية) هو استطراد ذكر وامثال ، وليس من مهمة القرآن وضع الاسس ونقل القوانين العلمية ، شان الكتب العلمية .

ونحسب انه لا يمكننا ان نزيد على كلام الشيخ الصدر ما يزيده بيانا وايضاحا فوق ما هو عليه من البيان والوضوح ، اذ لا يعقل ان ياتي القرآن الكريم ولا اي كتاب سماوي آخر الى الناس بالقواعد المادية والطبيعية التي يقوم عليها الكون لان مهمة الدين ، اي دين ، هي ان ياخذ البشر بالمبادئ التوجيهية التي ترسم امامهم طريق الايمان بالله عز وجل والعمل بما فيه انضباطهم وصلاحتهم في هذه الحياة الدنيا . وليس من مهمة الدين ، في قليل او كثير ، ان يتناول العناصر التي يتألف منها الكون في مادته المجردة الا في حدود المقدار الذي يفرسب به المثل للمظة والاعتبار والتأمل .

ومثل الكتب السماوية في هذا ، مثل الدساتير التي يضنها قادة الامم لضبط الافراد والمجتمعات في نطاق الروابط التي تحكم اواصرهم وتشدهم الى العيش بعضهم مع بعض دون اي تناقض ولا اصطدام .

ورد فعلا في سورة الجمعة حيث يقول تعالى « وتركوك قالما » فكانت تكتة ما يزال الناس يتبادلونها حتى اليوم ...

وبعد ، فلقد اطلنا الكلام في نقد كتاب « العلوم الطبيعية في القرآن » حتى كلنا نوهم قارئنا بأن الاستاذ يوسف مروه قد خرج من جهده في هذا الكتاب على غير طائل ، بينما نحن ، علم الله ، ما لهذا قصدنا وما كنا لنخط هذا المؤلف العالم حقه من التنويه بالروح الدينية العارمة التي تشيع في كل من سطور كتابه ، بل وفي كل كلمة من كلماته ، وما كنا كذلك ، لنجد له فضله في الإنكباب على دراسة كتاب الله سورة سورة ، وآية آية ، كي يخرج من هذه الدراسة بهذا الكتاب الغد الذي تضمن من المعلومات القيمة ما يدل على الثقافة العلمية الغزيرة التي يتمتع بها مؤلفه لا سيما في حقول الفيزياء وما إليها من نظريات حديثة مما يجعله في نظرنا ونظر كل منصف مفخرة شباب العرب والاسلام في هذا العصر ، بل نحن خرجنا بمد دراسة كتابه ، على قناعة وثيقة بأن هذا الشاب النابغة يستحق ان يوضع اسمه بين أسماء فطاحل العلماء المسلمين الذين اضافوا لثرائنا القومي صفحة مشرفة ليس في تاريخ العرب والاسلام وحسب بل في تاريخ الفكر الانساني قاطبة . وانه جدير بامتنا ان تباهل بمكانته العامية وان تفاخر بذهنه المتفتح أكثر الامم تقدا وابعدها شاوا في مضمار الحضارة والتطور والازدهار .

وإذا كان لنا ما نختم به هذا الحديث ، فأننا نختمه بالتمني على المسؤولين العرب ، بان يفيدوا من مواهب الاستاذ مروه وكفائاته في علوم الذرة والفيزياء والكيمياء . هذه العلوم التي أصبحت اليوم ، ميدانا تتزاحم فيه الامم الحية لاحتراق قصب السبق في خدمة اغراضها القومية وتحقيق انتصاراتها العلمية من أجل مستقبل افضل للمجتمع الانساني والحضارة العالمية .

وان الطريقة التي اخذ بها الاستاذ يوسف مروه في تفسير القرآن وتاويل آياته وفق النظريات العلمية الحديثة يمكننا ان نقول فيها ما سبق ان قاله في امثاله غيرنا من جهاذة العلماء المسلمين امثال الشيخ رشيد رضا الذي نجده ، في مقدمة تفسيره «اللمعان» يعني على من تآثروا في تفسيرهم بالنزعة العلمية المادية . وان الشيخ رشيد قد نعا على الفخر الرازي ما اورده في تفسيره من العلوم الحادثة في الملة ، واعتبر ان هذا العمل من شأنه ان يصرف الانسان عن القرآن وهديه ، كما توجه بمثل هذا اللوم على الذين قلدوا الفخر الرازي في طريقتة من المفسرين المعاصرين . فلقد قال .. وقد زاد الفخر الرازي صارخا آخر عن القرآن هو ما بورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده ، كاهيئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين (ويقصد الشيخ طنطاوي جوهرى) بايراد مثل هذا من علوم العصر وفنونه الكثيرة الواسعة فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية ، فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة ، كالسماء والارض من علوم الفلك والنبات والحيوان ، تصد القارىء مما انزل الله لاجله القرآن .

وبمناسبة الكلام عن جنوح بعض المفسرين الى الاستطراد في تاويل بعض آيات القرآن الكريم على غير مقاصدها الاخلاقية والتشريعة . فاننا لا نرى باسا من ايراد قصة ذلك المستشرق الذي اراد ان يياسط الامام الشيخ محمد عبده فقال له : انتم معشر المسلمين تزعمون ان القرآن يحتوي على كل شيء من العلوم والاحداث كما جاء في الآية 38 من سورة الانعام: « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فهل ورد في القرآن ذكر لاسم شركة « كوك » الانكليزية للسفريات . فما كان من الاستاذ الامام الا ان اجابه ، على سبيل المباشرة ، لذلك فورا اجل فان اسم هذه الشركة